من نبع الحياة

للاستاذ احمد فؤاد الاهوانى

ديوان شعر من نظم الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى أهداه إلى صديقه أحمد فؤاد الاهوانى فقبله شاكرا وقرأه ساهرا فنقله إلى آفاق من خالص الأدب وعوالم من المعانى والفكر ، امتزجت فيها المشاعر بالخواطر والفكر

ظهرت فى مصر نغمة جديدة تدعو إلى دراسة الأدب والنظر فى الشعر بوجه خاص بغير إقليمية ، وزعموا أن الكتاب والشعراء مع أنهم كتبوا جميعا بلغة واحدة هى العربية الفصيحة، وهى لغة لم تتطور من حيث بنائها وهيئتها لأنها لغة القرآن لا مبدل لكلماته، إلا أنك تستطيع أن تميز شاعرا عن شاعر ، وتفضل كاتبا على آخر، بما يمتاز به إقليم عن إقليم، وتختلف به أمة عن أمة ، وتتفاضل دولة عن دولة . فهذا عراقى وذاك حجازى ، وهذا شامى وذاك مصرى .

وهذا الاتجاه فى دراسة الأدب جدير بالاعتبار .

لأنه يدفع إلى ملاحظة الفوارق فيدعو إلى معرفة الخصائص .

ولأنه يصل بين الشاعر وبيئته فينكشف السر عن شاعريته .

ولأنه يطلعك على سيرته ويجعل دراسته قطعة من الحياة .

فلا غرابة أن يكون عنوان الديوان « من نبع الحياة » ، فالديوان حقا من العنوان . ولصاحب الديوان براعة ملحوظة فى ابتداع العنوان الطريف الأخاذ . فانظر إلى عين النبع كيف تندى برذاذها ماصحبها من ألف وباء .

وهذه صناعة لا يحسنها إلا صاغة الكلام ، والشعر

غير خاذل ، ولا متستر .

والرسالة الغراء ، التى فسحت فى أطوائها لأولاد الكتاتيب الأزهرية ، لن تضيق صدرا بما يكتب رجلان يمدان - بحق أو بغير حق - من هيئة التدريس العالى فى كليات الأزهر ، إن صح أن فى الأزهر كليات ...

ليس بى أن أحبر مقالا ، بعد مقالك الحاسم ، الجدير بأن يسمع كل ذى أذنين ؛ وإنما أردت أن أكون أول من يزكيك ، ويثنى عليك ، ومن أثنى ، فقد جزى .

ولك تحيات محسوبك .

عبد الجواد رمضان

المؤتمر الثقافى العربى الثانى

فى الأسكندرية — صيف هذا العام

فى ٢٣ أغسطس ١٩٥٠

يحضره مندوبو دول الجامعة العربية والجامعات والمؤسسات العلمية والثقافية . ويشترك فيه من يرغب من الأساتذة والعلماء والأدباء وغيرهم ممن يشتغلون بشؤون التربية رجالا ونساء .

وسيتناول هذا المؤتمر مناقشة :

١ — سياسة التوسع فى التعليم الثانوى والعالى .

٢ — إعداد الطلبة لمواجهة الحياة العملية .

وفضلا عن هذا سيستعرض المؤتمر اتجاهات التربية السائدة فى وزارة معارف كل قطر عربى وسيناقش موضوع تنفيذ قرارات المؤتمر الثقافى العربى الأول .

امتيازات للاعضاء المشتركين

تخفيضات فى أجور السفر ذهابا وإيابا — سكنى مجانية — مطعم خاص بأسعار مخفضة .

يرجى من الراغبين فى الاشتراك بهذا المؤتمر والمقيمين فى القطر المصرى مراجعة الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية — (١٠٢ شارع فاروق الاول بالمجوزة)

ملاحظة : قيمة الاشتراك جنيه واحد فى مصر .

أعلى فنون البيان. ولذلك كانت القصيدة أخلد من المقالة ، والبيت أروع من العبارة . وكانت الإلياذة عنوان الأدب فى اليونان ، والرباعيات أسمى ما نظم فى إيران .

غير أن الصورة الشعرية فى الأدب العربى تختلف عن صورتها فى اليونان ، وعنها فى الآداب الحديثة . ونعنى بهذه الصورة البحر والقافية مما يلتزمه الشاعر من مطلع القصيدة إلى آخرها . ونحن لا نعيب على الشعر العربى خلوه من الموسيقى ، فلا شعر بغير موسيقى ، بل الشعر موسيقى ، ولكننا نعيب عليه أنه أشبه بالموسيقى البدائية التى تنظر إلى الإيقاع المنتظم ، مع تكرار المقطع الواحد ، ولذلك قيل عن الشعر إنه « نظم » . أما الموسيقى الراقية ، فإنها لا تكتفى بتكرار نغمة واحدة ، بل تجمع بين عدة نغمات قد تكون كل واحدة منها غير مشجية ولكن يخرج من ائتلافها موسيقى فيها حلاوة وسمو . وهذا عيب الموسيقى الشرقية على الأطلاق ، وهو عيب الشعر العربى كذلك. ولذلك لم تظهر فى الشعر العربى « الملحمة » الطويلة التى تمثل الحيـــاة كالإلياذة والأودسا . ولذلك أيضا يمل القارىء والسامع إذا طالت القصيدة لأنها من بحر واحد.

ولما كان الشعر أعلى صور البيان ، فينبغى أن يصان فلا ينزل إلى معترك الحياة العادية المألوفة ، وإلا كان الشعر نظما لمعان لا ترتفع إلى مقام الخلود . ولذلك كان من الغريب أن يسخر عبد الغنى موهبته الشعرية فى وصف كل مناسبة ، ولم يكن الحال كذلك بالنسبة لأمراء الشعر فى الجاهلية. فقد قيل إن زهيرا كان ينظم القصيدة فى عام ، ولذلك سميت بعض قصائده بالحوليات . وقد رأيت هذا المذهب الجديد ، أعنى نظم كل معنى يخطر بالبال، عند «أبو شادى» الذى هجر مصر إلى أمريكا ، ولم يلق مذهبه ما يريد من نجاح .

****

وأنت ترى فى هذا الديوان عدة قصائد فى الفتاة المصرية ، أولها نظمت للسيدة درية شفيق حينما أحرزت ليسانس الدولة فى الآداب من جامعة باريس سنة ١٩٣٢ استهلها بقوله

أديبة قد نجحت فى الأدب وبلغت فى العلم أعلى الرتب
واتصلت فيه بأقوى سبب وغامرت وثمرت فى الطلب
بين الفراسات وبين الكتب وحازت السبق فيا للعجب .

إلى أن قال فى نفس القصيدة

مصرية تطير فوق السحب تشق متن الريح يا للعجب

فانظر كيف تعجب مرتين فى قصيدة واحدة !

وجاء فى قصيدة له عن السيدة زينب كامل وهى أول سيدة بالجامعة المصرية نشرها عام ١٩٣٠

عجبت لنيلك تلك العلوم وصرك فى نيلها أعجب

ومن قصيدة للسيدة فاطمة فتحى بمناسبة نجاحها فى شهادة علم النبات من جامعة انجلترا

ومن عجب نباتك كان فخا وحزت السبق فى علم النبات

وقد خلت قصيدته التى نشرها تحية للسيدة هدى شعراوى من هذا العجب وهى التى جاء فى مطلعها

أعليت فى صرح البلاد بناء بلغ السماء وطاول الجوزاء
دار الزمان وأصبحت فتياتنا يطلبن كالرجل الحياة سواء

مهما يكن من شىء فأنت لا تستطيع أن تخطىء أن الشاعر مصرى لأنه يتحدث عن ظواهر جديدة وقعت فى مصر وعاصرها ودار فيها مع الزمان . وهذا من جملة ما يتميز به درس الأدب من الناحية الإقليمية

ومما تنفرد به مصر عن غيرها من الشعوب كثرة الحريق فى قراها ، وقد سجل عبد الغنى قصيدتين ، إحداهما سنة ١٩٣٢ عن حريق قرية ميت معاند جاء فيها

كم أقفرت بعد الحريق منازل وتخربت بعد الحريق مبانى
وتفرقت أسر وأصبح شملها متفرق الخرزات والعقدان

ثم وصف حريق بلدة الراهبين سنة ١٩٣٨ فى قصيدة مطلعها

صار للنار طعمة ووقودا بلد كان بالفداة سعيدا

إلى قوله

قلقت مضجعا وساءت مآلا وهوت منزلا ومالت عمودا
بعثرت شملهم قبيلا قبيلا وطوت جمعهم عديدا عديدا

وهو نفس المعنى الذى صاغه فى القصيدة السابقة . وأكبر الظن أن الشاعر لم يعرف ميت معاند ولم يتصل بها فلم تؤثر فى نفسه إلا أثر من يقرأ الخبر فى الأهرام ، نعنى الصحيفة اليومية ولا نحسب أن الوصف صادق لأنه يصدق على كل حريق .

ونظم فى اليتيم مجموعة من القصائد سماها « فى ظلام الحرمان جاء فى إحداها

فى مصر قوم كفهم طائية ... يرجى الندى من كفهم ويؤمل
الفضل فى ساحاتهم متجمع ... والخير فى أشخاصهم متمثل

وقال فى قصيدة أخرى

فى مصر قوم يحرسون على ... أن لايمسك بينهم ضر

وذلك فى القصيدة التى مطلعها

قل لليتيم تبدل الأمر ... والعسر أصبح بعده اليسر
مصر التى فيها لكل ندى ... ولكل يوم فى الندى ذكر
مصر التى فى كل ناحية ... المكرمات بسوقها سمر
مصر التى لقديم نهضتها ... يعزى النجار وينتهى الفخر
مصر التى دامت مطالعها ... حسبى وحسبك أنها مصر.
المهرجان بمصر قد طربت ... وتمايلت أعلامه الخضر
والازبكية فى خمائلها ... شعر وبين رياضها سحر

ولا نود أن ننبه إلى المصرية الواضحة فى هذا الشعر ، والأزبكية شاهد على ذلك ، مما يدل على تميز الشاعر عن غيره من شعراء العرب ، ولكننا نحب أن نذكر أصادق هو فى إحساسه أم لا ، أحقا أن فى مصر قوما يحرسون على راحة اليتيم ؟ فاذا أراد أن يمارى فى هذه الحقيقة ، فلينظر إلى طرقات القاهرة وشوارعها ليرى الأطفال العراة الحفاة قد شردتهم الأيام وعصف بهم الزمان حتى ليندى الجبين خجلا من مشاهدتهم فأين رجال مصر وأغنياؤها ، وكيف تبدل الأمر فأصبح من بعد عسر يسرا ؟ .

لكنه الشعر ، وقد صدق الله تعالى حين قال فى محكم التنزيل « والشعراء يتبعهم الغاوون » فالشعر يؤثر فى القلب بما فيه من موسيقى وخيال ، ولكنه يبتعد عن الواقع ، ولذلك أضاف القدماء كتاب الشعر إلى المنطق وعدوه من جملة السفسطة . ونحسب أن النظرة الحديثة إلى الشعر قد تغيرت ، على الأقل فى أوربا ، وينبغى أن تغير فى مصر ، وهذا واجب الشعراء .

أما باب الرثاء فقد جمع بين دفتيه قطرات من الدموع سكبها الشاعر على كثيرين من أعلام مصر فى هذه الحقبة الأخيرة . بدأها بقصيدة فى رثاء الأمير كمال الدين حسين استهلها بقوله .

يعز على المروءة أن تصابا ... وأن تلقى على يدك المصابا

وهو مطلع بارع ، وقد برع عبد الغنى فى الاستهلال ، ولكنه مطلع يصلح فى رثاء أى إنسان ، ولا يختص به الأمير وحده .

ومن براعة الاستهلال قوله فى رثاء حسن صبرى باشا رئيس وزراء مصر توفى فى البرلمان وهو يلقى خطاب العرش .

أودى بك الجدام ألوى بك القدر ... لابد من سفر إن أقبل السفر

وهو أيضا من قبيل المطلع السابق .

وهناك مطالع أخرى لا تستطيع أن تنقلها إلى رثاء شخص آخر ، لأنها تدل على مناسبة خاصة . وذلك من مثل قوله فى رثاء طالب قتل بالرصاص فى مدينة المنصورة فى عيد الدستور .

كغنوة فى الزهر والثغر باسم ... أمل فى التراب غفلان نائم

وكذلك قوله فى رثاء الاستاذ محمد عبد المطلب

جزع الشعر عليه والأدب ... يوم قالوا مات عبد المطلب
خلت الروضة من طائرها ... بمديبس الروض هل يغنى الخطب

وقد صاغ هذا المعنى بنفسه فى رثاء شوقى .

ركن من الأدب الصحيح تهدما ... وفم على الأيام ان يتبسما
طير ترنم فى الخمائل ساعة ... وأراه بعد اليوم لن يترنما

فذاك طير فى الروضة ، وهذا طائر فى الخيلة . ولقد تصحفت على عينى لفظة الصحيح فى البيت فقرأتها « الفصيح » ولعلها أليق وأفصح .

ومن المعانى التى تكررت فى الرثاء قوله فى رثاء أحمد ماهر

ما الذى ضر لو تأخرت حينا ... والمنايا إلى رداك عوابر

وفى رثاء حسن صبرى .

يأيها الراحل المزجى مطيته ... ما ضرها لحظة لو كنت تنتظر

* * *

ومن أروع قصائد عبد الغنى ، وأعظمها دلالة على مصريته ، قصيدتان فى وفاء النيل إحداهما .

فاضت بوجهك أوجه النعماء ... أعيون تبر أم مسايل ماء

والأخرى .

طرب النيل فى البلاد وغنى ... فتثنينا الأعناق لما تثنى

وقد لحظ فى الأولى معنى الخصب والنماء ، وفى الثانية لحن العذوبة والغناء ، فلم تتكرر المعانى فيهما .

قال فى الأولى .

تلقى النماء على جوانب أرضها ... والخصب فى تلك الربى الجرداء
سبحان من جعل البلاد رحيبة ... فى راحتيك كثيرة الآلاء
هى فيض نعمتك التى أرليتها ... وصنيعك الباقى لغير فناء

وجدير بهذه القصيدة أن تغنى من أمواج الإذاعة بدلا من